في منزلها لا تانف من اشق الاعمال البدوية ولا يكون عملها سبباً لاستكبارها فان ذلك يحط في منزلتها في عيون معاشريها وعليه فيجب على الفتاة ان تتعلم كيف تكون زوجة مساعدة واما صالحة والسلام ابلج نجيب عمان

هل هذا عدل

حدثني الراوي قال: ذهبت يوم كنت في بلجيكا الى البرية لاتجلى الطبيعة واروّح النفس هنيهة من الزمن فاراً من ضوضى المدينة وجلبة الناس وكان الجو صافياً والنسيم بليلاً وكل ما في الطبيعة يدعو للتأمل وامعان الفكر

وبينما كنت سائراً في تلك النواحي الزاهرة على مهل اطالع كتاباً للفيلسوف الروسي تولستوي سمعت صوتاً واهناً وراء اكمة قريبة فوقفت حيراناً ثم قصدت المكان فوجدت شجاً متمدداً على الصخر وبجانبه طفلٌ صغير يبكي ويلتقط من الارض ترابا ويضعه في فمه فهرعت اليه فاجفل لما رأني مقبلاً نحوه واختبأ تحت رداء ذلك الشيخ فدفعتني نفسي لكشف اللثام عن وجه النائم وكنت معتقداً انه رجل فقير اختى عليه الدهر وطرحه بين عواصف الشقاء فرفعت القناع عن وجهه ورجعت الى الوراء .... رأيت فتاةً صغيرة السن نحيلة الجسم رشيقة القد حسنة الطلعة كانها دمية من عاج غير ان ادران الشقاوة قد شوهت ذلك الوجه الناصع البياض . ناديتها لم تجب فظننتها قضت نحبها فاقتربت من الولد الباكي وجئته بجرعة ماء فشرب وانتعش ثم جلس بقربي واخذ يتفدني بعينيه الجميلتين ليعلم من هذا المحسن اليه

وانا لو كان باستطاعتي لقطعت من قلبي قطعة واطعمته اياها ليشبع لأني شعرت بشيء سماوي وعاطفة كريمة تدفعني لمساعدة هذا الطفل الوديع فجلست امامه ووضعت يدي على رأسه ورسمت قبلة على غرته ففتحت الفتاة عينيها المتكسرتين ورنت اليّ بنظرات الشكر والامتنان فسحرت قلبي بتقاطيع ذلك

المحيا البهي فتكهربت بكهرباء الجمال وعلمت انها امه وانه ابنها فسألت الولد قائلاً اين ابوك ايها الصغير ! فقلب شفتيه وهز كتفيه وهو يريد ان يقول لا اعلم فارتعشت الام وبكت ثم ادارت وجهها خجلاً واخذت تشهق وتشرق بدمعها فاسرع ولدها وانحنى على أمه الحنون فمدة له يديها وضمته الى صدرها وقبلته وهي تذرف الدمع مدراراً فعاد هذا الى جانبي وبكينا جميعاً

فانتصبت اذ ذاك الفتاة على قدميها وكان شعرها اسوداً كالليل يحجب وجهاً كانه البدر وبعد هنيهة جثت على ركبتيها ورفعت يديها وعينيها الى السماء وصاحت نعم انه ابكاني فلتبكه السماء وخانني فليخنه دهره وبغني الى الظلام وترك لي هذا الطفل وزادني به بلاء "قالت هذه الكلمات وهي تتألم من الغيظ وشدة الضعف وسقطت على الصخر فخلت ان رأسها قد شق فهببت من مكاني وركعت بقربها وكان ولدها ينادي باسمها ماما ليلي . ماما ليلي . فنظرت اليه نظرة الاشفاق وشفتاها تردد هذه الكلمة جازاه الله جازاه الله وصارت تصلي بصوت متقطع . وكان البحر هائجاً والزبد يتطاير من فوق تلك الصخور الشاهقة وجبال الامواج ترتفع وتسقط في اليم كما سقطت هذه البغي ولكن سقوطها لم يعقبه ارتفاع كما هي حالة الامواج انما هي تلك الزهرة التي قصفها الريح فرمت عليها اقدام الانسان وداستها بلا رحمة ولا شفقة

ولما انهت هذه المسكينة صلاتها اوعزت لولدها اليدنو منها وقالت له سيشيرون اليك ياولدي بالاصابع ويقولون هذه ثمرة البغي هذا ابن ليلي الساقطة سيرذلك الناس ياولدي ويطردونك لانك ولدي ولكن هل علموا ان امك كفرت عن ذنوبها بدموعها هل يلقون بعض اللوم على والديها اللذين ربياها وسمحا لها بالاختلاء مع هذا الخداع الذي ساقها الى اماكن العار . كلا ثم كلا فانهم ينكرون كل الحق على الحمامة الضعيفة التي اصطادها القناص وذبحها بعد ان فقدت رجاءها

احبك ايتها الدنيا لانك جميلة وابغض من سكنك من الوحوش لانهم افترسوني فشقيت واموت تعيسة حزينة لست متأسفة على حياتي ولكن لاني اترك هذه الزنبقة بين اشواك الاجام احبك ايتها الدنيا لان فيك رجالا افاضل وابغضك لان الكثيرين فيك يعملون على شقاء اناسك انضك كثيرا لان فقيرك ينام جائعا وغنيك يعيش متنعما احبك ايتها الدنيا الدنية ايتها الطبيعة البهجة لانك صنعة يدي قادر حكيم لان لي حبيب فيك لي ولد لي رسم لي عضو كسير القلب · آه ما اشقاك ياولدي الصغير · الاسماك تعيش في هذا البحر الواسع · الطيور تعرد فرحة مسرورة وانت عريان حزين أواه لا اقدر ان اعيش يجب ان اموت لاجلي · عندئذ ضمت ولدها الى صدرها وقبلته قبلات حارة واوصته قائلة · اذا شاهدت ياولدي والدك ارمقه شذرا وقل له ياخائن كن قويا في الحياة ياحبيبي اذا طرقت باب الغني وكنت ترتجف من البرد القارص وطردك هذا فلا تفقد شجاعتك واتذكر دائما ان اصل بلائي يابني من ابائك القصور المشمسة بالمال المظلمة من الفضيلة

قالت هذا وقبلته ثانية والتفتت الي وقالت سامحني ايها الكريم وخبر الناس بما رأيت ليروا العبرة ولا تنسى ولدي بل اشفق على الانسان يا ابن الانسان واسلمت الروح فحفرت حفرة على شاطئ البحر واودعتها الثرى لاني اعلم كل العلم انه لا يسمح لها ان تدفن كبقية الناس لانها ساقطة في عرف الجمهور وفي اليوم التالي زرت المكان لاضع على القبر بعض الازهار فرأيت البحر قد ابتعد عنه عدة اذرع فسبحانك يالهي الا يكفي انكار الناس لهذه الفتاة حتى ينكرها البحر ويبتعد عنها · رحماكم ايها البشر رحماك ايتها الطبيعة لما هذه القساوة لماذا لا تبتعدوا عن ذلك الشاب الذي اسقط الساقطة لماذا تكرموه لماذا تعتبروه كانه لم يأت شيئا فريا · هل هذا عدل

فؤاد شاكر غبريل